

كيف نمنع تدهور العلاقة الزوجية؟



"خارطة طريق" نحو السعادة عادة ما يسأل الزوج أو الزوجة عن حل حاسم لمشكلاتهما ويفتحان عن "خارطة طريق" تقودهما إلى حلول سليمة بعيداً عن العنف أو الطلاق. كثيرون يفندون أسباب الخلاف لإيجاد الحل وكثيرون يعمدون إلى وضع "تكتيكات" لتفادي تفاقم الخلاف قبل وقوعه. بيد أنّ العلاجات لهذا الواقع قد تكون غير فعالة في ظل خصوصية كل حالة على حدة، إلا أن معهداً اجتماعياً معروفاً باسم "فيبيست" في مدينة ساو باولو وضع دليلاً عاماً يهدف إلى مساعدة الأزواج على إبقاء علاقتهم متينة وغير قابلة للانهيار التام. ومن بين تكتيكات الحفاظ على العلاقة الحالية من "شوائب" الخلافات و"نار" الغضب الحارق، يدعو الدليل إلى تجنب الطرفين الاحتفاظ بآرائهم أو عدم البوح بها وكذلك الاحتفاظ بمشاعر المرارة لوقت طويل، كما يدعوا إلى التحكم في الغيرة وتجنب التوقعات غير الواقعية حول الحب. ويعتبر الدليل أن غياب الحوار عقدة، مشدداً على ضرورة الاعتراف بمقدرات الآخر والابتعاد عن التعتن. مما مدى تطبيق هذه الخطوات في حياتنا الزوجية؟ وما الأساليب التي يعتمدها الزوجان للحؤول دون وقوع مشكلات أو دون تفاقمها؟ الإجابات أظهرت خطين متلاقيين، فمنهم من يتشارك الأفكار نفسها ويجد أنّ الحوار هو الصيغة المثلثة للوصول إلى حل، في وقت نجد أن معظم الأزواج المسالمين يعمد إلى الهروب المؤقت من المنزل، تفادياً لاشعال فتيل الخلاف وتأجيجه. تجد سارة بن كرم، مديرية جمعية الاتحاد النسائية، التي تنظم ورش عمل ومحاضرات تتصل بالعلاقات الزوجية وكيفية حل المشكلات وطرق تفادي تفاقمها، أن ثمة أساليب كثيرة

و"تكتيكات" لمنع تدهور العلاقة الزوجية. توجز "التكتيكات" بأسلوب معاملة يقوم على الود والاحترام: "فلا بد" لأحد الطرفين أن يرخي عندما يرى أن" الطرف الآخر يتعمد الشدة في سلوكه وبالعكس منعاً لتفاهم الأمور". تجد أن التقارب الفكري بين الأزواج عامل مهم لإرساء التوافق. كما دخل الإعلام على الخط كعنصر "مشاغب". توضح: "الإعلام كان له دور كبير في تغيير المفاهيم وتسويق الانفتاح بشكل كبير، مما أثر على الكثير من هدوء العلاقات الزوجية". قد يشوب الخلاف في بداية الزواج بشكل أكبر وأشد حدة: "في البداية، يتجلّى الانفعال بشكل ظاهر ومع مرور الأيام، يتبدّى شيئاً فشيئاً نوع من الصبر بعد أن يكون كل طرف قد ألم بشخصية الآخر وفهم طبيعته". لا تنفي بن كرم أن التنازل اليوم بات محكوماً بقيود في ظل استسهال المرأة للطلاق. على الرغم من ذلك، لا تنفي أن يكون هروب الرجل "أسلوباً مجدياً" لمنع اشتعال فتيل الأزمة شرط أن يكون هروباً مؤقتاً يعود بعده إلى المنزل حاماً هدية ولو متواضعة". بدورها، عايشت هدى الشيبة الكثير من الحالات الزوجية التي آلت إلى الخلافات والطلاق لغياب عنصر التفاهم. لدى الشيبة طريق واحد يحدد معالم التوافق والاستقرار في الحياة الزوجية وهي معالم رهن شخصية كل زوج وزوجة. تشرح الشيبة أبعاد العلاقة الزوجية المستقرة: "هناك شخصيات تنشأ على التنازل والعطاء وأخرى تنشأ على الأخذ ولكن مرتكز نجاح العلاقة الزوجية يقوم على المشاركة والكلمة الطيبة وإحساس كل طرف بالطرف الآخر حتى في لحظات الغضب". تعمم الشيبة مبدأ الشراكة على كل تفاصيل الحياة بين الشركين: "في لحظات الغضب، على الطرفين الاستعاذه من الشيطان والتوضؤ لتصفية القلوب لأنه في حال أشعّل أحد الطرفين نار الخلاف وزاده عمقاً. فهذا من شأنه أن يفاقم الأوضاع إلى ما لا تحمد عقباها وتصل آثارها إلى الأبناء، بدل أن تطفئها كلمة طيبة: "مثل اه يهديك، سامحي وغيرها". تغيب الكلمة الطيبة عند الغضب ويحضر التعنت بكل ثقله في الخلافات الزوجية، ليرسى "حوار طرشان" بامتياز لا يصغي فيه أي طرف للطرف الآخر، إلا في حال رغب أحد الطرفين في تدعيم لغة التفاهم وعدم الوصول إلى الطلاق. محمد سالم، أي لسبعة أبناء وبنات. بعد أكثر من 18 عاماً من الزواج، يؤكد أن منع تدهور العلاقة الزوجية هي رهن الرجل "الذي يتنازل أكثر وعقله أكبر من عقل الحرمة"، وفق تعبيره، لافتاً إلى أنه يعمد إلى الخروج من المنزل عند أي انفجار قد يحصل. لا يعد هذا الخروج هروباً بقدر ما هو تفادي تفاقم الخلاف. يوضح سالم وجهة نظره: "تعمد الزوجة أحياناً إلى تهدئه الأوضاع والتطنيش وأجد أن كل طرف يجب أن يتغاضى عن أخطاء الآخر ولا يعمد إلى تصخيمها"، ويعرف أن "كثيراً، ما يكون الرجل سبباً في تدهور العلاقة ولكن الاحترام هو السبيل الأوحد لوقف حدة الخلاف". - "سلمية.. سلمية"! ثمة اختلاف في وجهات النظر بين الزوجين حصة علي وخالد محمد النعيمي المتزوجين منذ 4 سنوات، ولكنه اختلاف لا يفسد للود قضية. من جهتها، تعتمد حصة كل الأساليب

التي توقف تفاقم أي خلاف: "لا أشد وياه في الكلام وأعمل الكثير من أجل ألا يستمر الخلاف". بعد سنوات أربع، خلصت حصة إلى نتيجة مفادها أن التفاهم هو سيد الموقف ولكنه يأتي جراء تنازلات يقدمها الطرفان مع اعتراف بـ "أن المرأة أكثر إقداماً على التنازل لأن دماغ الرجل يابس كالحجر". من جهته، تبدو وجهة نظر خالد النعيمي أكثر موضوعية وحياداً. فهو يعمد فعلاً إلى منع تدهور الأوضاع مع زوجته بالهروب من الموقف منعاً لتفاقم المشكلة: "كثيراً ما أعمد إلى الخروج من المنزل لتهدا الأمور ولفتره محددة". هذا الإجراء لا يجد قبولاً لدى حصة التي تقول صاحبة: "وايد أعصب عندما يخرج". ولكن خالد الأكثر عقلانية لا يجد بداً من الخروج ولكنه يعترف: "في حال صدر الخطأ مني، أحارول تهدئة الأمور ومراضتها". إذاً، هو الحب يرسم المشهد السلمي للحياة الزوجية في ظل تفاهم يرسىء الحوار بين الأزواج حول شؤون وشجون الحياة كافة. يطل حسن سعيد على الموضوع من باب الخطوة الأولى وهي الإقدام على الزواج. يرى أن دراسة هذه الخطوة هي المنفذ الحقيقي نحو حياة خالية من التعقيدات: "بعض شباب جيل اليوم يعمد إلى الزواج لإرضاء والديه دون الإلمام بمسؤوليات الزواج من قبل الطرفين". حسن لم يزل عازباً ولكنه على قناعة بأن المرأة أكثر قدرة على التنازل من باب "ضعفها ومحبتها للزوج": "الأهم عدم تدخل الأهل في خلافات الأزواج وإلا سيكون الندم من نصيبها". معيناً الأمور إلى أساسها في "ضرورة الاختيار السليم واستيفاء متطلبات الزواج" وواصفاً هروب بعض الأزواج من المنزل بالخيار الصحيح شرط "إلى وقت معين لعدم إثارة شك وغيره زوجته". عشر سنوات مضت على زواج عبدالقادر هاشم. ينظر بموضوعية إلى القضية: "كلا، الطرفين يمنعان تدهور علاقتهم وهذا رهن تفكيرهما وسعيهما لتحقيق الاستقرار في حياتهما"، يقول معرباً عن صعوبة تحديد المساهم الأكبر في تدهور العلاقة والوصول بها إلى بر الأمان. شاكر الشريفي متزوج منذ 13 عاماً. هي عشرة عمر تكفي ليؤكد أن "الرجل يتنازل أكثر من 20%". على الصعيد الشخصي، ثمة "تكريك" لوجستي يلجأ إليه شاكر الشريفي في سعيه لتفادي تأجج الخلاف: "في غالب الأحيان، أدخل إلى مكتبي وأُقفل على نفسي" وهذا ما يستفز زوجتي أكثر". يتوافق الشريفي مع رأي حسن سعيد في الإصرار على الاختيار السليم للزوجة، نسألة: هل تعمد زوجتك إلى تهدئة الأمور أو الصمت؟ يضحك: "لا صمت عند النساء" يقول صاحباً ومصراً على إيراد عبارة أن "غيرتي رفعتني إلى النجوم" في إشارة واضحة إلى أن غيره الرجل على زوجته تنم عن قلب صاف وحبه لزوجته. - الزوج المديون.. و"فتيل" الخلافات! ثمة "ارتباك" يرافق العلاقة الزوجية في بدايتها كون الزوجان لا يتمتعان بالنصائح أو لغياب الإلمام المعرفي، بما يؤدي إلى تدهور العلاقة، كما يدخل على الخط فعل المقارنة التي تقيمه الزوجة في الاطلاع على واقع نساء آخريات من جنسيات أخرى، من دون إلماها بما وراء الأكمة. لا تغفل أقسام الإصلاح والتوجيه الأسري في محاكم الدول مهمتها في إرساء قواعد

الحوار بين الزوجين وإزالة معالم الخلافات. جاسم المكي رئيس قيم الإصلاح والتوجيه الأسري يؤكد على هذا الدور: " مهمتنا إصلاح ذات البين وخفض نسب الطلاق ونشر الثقافة الأسرية ووعية أفراد المجتمع حول أهمية تماسك الأسرة والحقوق الزوجية، وكيفية حل المشكلات عبر وسائل مختلفة". منذ بداية 2012 وحتى شهر مايو 2012، بلغ مجموع الحالات التي قصدت التوجيه الأسري 318 حالة وتم الصلح والتواافق في 52 حالة و122 حالة تم حفظها (نتيجة توافق الأزواج) و78 من الحالات ما زالت قيد التداول أمام قسم التوجيه وأحيل إلى القضاء 66 حالة من مجموع الحالات (318). تتصدر النفقـة أحد أهم الأسباب المؤدية إلى تدهور العلاقة الزوجية وتتركـز شـكـاوـيـ المرأة عـلـى طـلـب زـيـادـة النـفـقـة وـتـوـفـير اـحـتـيـاجـاتـ المـنـزـلـ،ـ فـيـ وقتـ يـعـانـيـ الزـوـجـ مـنـ تـراـكـمـ الـدـيـوـنـ". غيرـ أنـ"ـ المـكـيـ يـرـىـ وجـهـاـ آخرـ لـتـدـهـورـ العـلـاقـةـ يـتـحـمـلـ مـسـؤـلـيـتـهـ الأـزـوـاجـ الـهـارـعـونـ وـرـاءـ شـهـوـاتـهـ إـذـ "ـ بـعـضـ الـأـزـوـاجـ يـبـذـرـ أـمـوـالـهـ خـارـجـ المـنـزـلـ،ـ فـيـ حـيـنـ أـنـ بـعـضـ الـزـوـجـاتـ يـعـمـدـنـ إـلـىـ التـبـذـيرـ وـالـرـغـبـةـ فـيـ الـاقـتـداءـ بـصـدـيقـاتـهـ أـوـ جـارـاتـهـ وـغـيـرـهـنـ". يـدـخـلـ عـلـىـ الـخـطـ تـدـخـلـ الـأـهـلـ كـعـنـصـرـ سـلـبـيـ يـشـعـلـ فـتـيـلـ الـأـزـمـةـ وـبـوـقـدـ نـارـهـاـ.ـ يـوضـحـ المـكـيـ:ـ "ـ غالـبـاـ ماـ يـكـونـ تـدـخـلـ الـأـهـلـ سـوـاءـ مـنـ قـبـلـ الـزـوـجـ أـوـ الـزـوـجـةـ عـائـقاـ يـحـولـ دـوـنـ تـحـقـيقـ الـتـوـافـقـ وـبـالـأـخـصـ فـيـ ظـلـ اـنـحـيـازـ كـلـ طـرـفـ لـلـطـرـفـ الـآـخـرـ".ـ -ـ خـطـوـاتـ لـمـنـعـ تـدـهـورـ العـلـاقـةـ:ـ يـزـوـدـنـاـ تـقـويـةـ الـوـاـرـعـ الـدـيـنـيـ الـمـكـيـ بـأـهـمـ الـخـطـوـاتـ لـمـنـعـ تـدـهـورـ العـلـاقـةـ الزـوـجـيـةـ وـمـنـهـاـ:ـ

- وـمـرـاعـةـ الـزـوـجـ هـيـ فـيـ النـفـقـةـ وـفـيـ تـعـامـلـهـ مـعـ الـطـرـفـ الـآـخـرـ وـاتـخـاذـ خـطـوـاتـ إـيجـابـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـجـانـبـ.
- تـكـثـيفـ خـطـبـ الـجـمـعـةـ فـيـ سـيـاقـ التـوـعـيـةـ بـالـمـوـاضـيـعـ الـخـاصـةـ
- تـعـزـيزـ دـورـ الإـعـلـامـ وـإـيـجادـ بـرـامـجـ باـلـأـسـرـةـ وـالـتـمـاسـكـ الـعـائـلـيـ.
- ضـرـورةـ أـنـ يـتـنـازـلـ كـلـ طـرـفـ لـلـآـخـرـ وـ"ـ لـاـ يـتـعـنـترـ"ـ عـلـىـ الـآـخـرـ كـوـنـ الـحـيـاـةـ الـزـوـجـيـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ التـعـاـونـ وـالـأـلـفـةـ وـالـمـوـدةـ.

وـتـعـلـمـ فـنـيـاتـهـ وـالـإـلـمـامـ بـآلـيـاتـهـ.ـ -ـ مـرـيمـ مـنـدـكارـ:ـ التـغـافـلـ عـنـ الإـسـاءـةـ مـرـتكـزـ الـاستـقـرارـ الـأـسـرـيـ!ـ تـسـتـعـيـنـ الدـاعـيـةـ الـكـوـيـتـيـةـ مـرـيمـ مـنـدـكارـ،ـ بـحـدـيـثـ الرـسـوـلـ (صـ):ـ "ـ إـنـ"ـ الـمـرـأـةـ خـلـقـتـ مـنـ ضـلـعـ أـعـوـجـ"ـ لـتـؤـكـدـ دـورـ الـرـجـلـ الرـئـيـسـيـ فـيـ الصـبـرـ وـالـتـغـاضـيـ عـنـ بـعـضـ الـاعـوـجـاجـ،ـ مـعـ تـوـجـيـهـ النـصـ وـالـإـرـشـادـ.ـ تـقـوـلـ:ـ "ـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ يـحـثـ الـرـجـالـ عـلـىـ حـسـنـ مـعـاـلـمـةـ النـسـاءـ بـلـيـنـ وـلـطـفـ وـرـحـمـةـ وـعـدـمـ اـعـتـمـادـ الشـدـةـ مـعـهـ وـلـكـنـ السـائـدـ الـيـوـمـ فـيـ مجـتمـعـاـنـاـ إـلـاسـلـامـيـةـ هـوـ ظـلـمـ وـشـدـةـ الـرـجـالـ وـهـوـ أـمـرـ يـتـعـبـ النـسـاءـ وـلـاـ يـتـحـمـلـهـ".ـ وـتـصـيـفـ:ـ "ـ قـالـ رـجـلـ لـلـإـلـمـامـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ -ـ رـحـمـهـ أـللـهـ -ـ إـنـ أـحـدـ الـأـئـمـةـ يـقـوـلـ:ـ الـخـيـرـ تـسـعـةـ أـعـشـارـهـ فـيـ التـغـافـلـ.ـ فـرـدـ الـإـلـمـامـ أـحـمـدـ:ـ أـخـطـأـ،ـ الـخـيـرـ كـلـهـ فـيـ التـغـافـلـ".ـ مـنـ هـذـاـ الـمـنـطـلـقـ،ـ تـلـفـتـ الدـاعـيـةـ مـنـكـارـ إـلـىـ ضـرـورةـ تـغـافـلـ الـزـوـجـيـنـ عـنـ الإـسـاءـةـ وـعـنـ الـتـغـافـلـ".ـ الـكـلامـ فـيـمـاـ لـاـ تـحـمـدـ عـوـاقـبـهـ وـيـجـبـ التـغـافـلـ عـنـ الـكـثـيرـ،ـ فـلـاـ يـعـدـمـ أـيـ طـرـفـ إـلـىـ مـحـاسـبـةـ الـطـرـفـ

الآخر على أقل وأبسط الأشياء". ولكن لمن أوكل الشع مهمة عدم تدهور العلاقة الزوجية؟ تؤكد أن "وضع حد للخصام هو بيد الزوج الذي أوكل له الله سبحانه وتعالى مسألة الطلاق وزواجه القرآن الكريم بتدرجات في طريقة معاملة المرأة بدءاً بنصها وهجرها وضربيها ضرباً غير مبرح منعاً لشعورها بالإهانة". وفي المقابل، تجد مندكار أن شدة الحساسية، والغيرة، وسوء الطن بالزوج عوامل قد تشكل ملامح الخلاف الرئيسية من قبل المرأة التي تصطدم بمشكلة "نظر الزوج إلى غيرها من النساء في غالب الأحيان"، داعية إلى غض البصر من قبل الرجال وعدم استسهال النساء للطلاق والإلمام بكيفية معاملة الأزواج بما شرعه الله سبحانه وتعالى. - طارق الشميري: احترام الخصوصية وال الحوار.. نحو علاقة سليمة! يتوقف طارق الشميري، خبير إتيكيت في العلاقات الزوجية، عند ثلاث خطوات أساسية في بناء مدمّاك قوي للعلاقة الزوجية لمنع تدهورها وهي: -
فهم طبيعة كل طرف، بحيث يركز كل منهما على فهم تفكير الآخر
والفروقات الفكرية والجسدية وتوظيف هذه الفروقات بشكل إيجابي لتعزيز أواصر العلاقة
بينهما. -
احترام خصوصية كل طرف واهتماماته وثقافته وفكرة وعدم الانتقاد من حقوق الطرف الآخر بحجة أن "الطرف أكبر سنًا من الآخر أو قصور الطرف الآخر عن الفهم
وابتعاد المرأة بالأخص عن مقارنة واقعها بواقع الآخريات كونها مقارنة منبوذة.
- إرساء لغة الحوار بين الطرفين للوصول إلى حل وتفاهم وليس بهدف إثبات خطأ الآخر أو لإعلان انتصار طرف على الآخر. يخلص الشميري إلى أن بعض الأزواج يتبع تلك الخطوات في وقت يغفلها آخرون، ولكن ثمة "توازنًا" في تحمل الطرفين مسؤولية تدهور العلاقة الزوجية: "في السابق، كانت الزوجة تتنازل ولكن اليوم بات الطرفان يؤجحان نار الخلاف في ظل استسهال الطلاق وبالأخص من قبل المرأة التي لا تدرك آثار ما بعد الطلاق".